الانتحار وموقف الإسلام منه

١٢ رجب ١٤٣٦هـ الموافق ١ مايو ٢٠١٥م

أولاً: العناصر :-

١- قتل النفس جريمة حرمتها الأديان.

٢- الأسباب المفضية إلى الانتحار.

٣- جزاء قاتل نفسه في الدنيا والآخرة.

٤- علاج ظاهرة الانتحار.

ثانياً: الأدلـــة :-

الأدلة من القران الكريم :-

١- قال تعالى: { .... وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}[النساء ٢٩-٣٠].

٢- وقال تعالى : {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[البقرة : ١٩٥].

٣- وقال تعالى:{ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا *يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الفرقان:٦٨-٧٠].

٤- وقال تعالى: {يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ } [يوسف: ٨٧].

٥- وقال تعالى: {قل يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ *وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ}[الزمر: ٥٣-٥٦] .

٦- وقال تعالى : {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا }[النساء : ٤٨] .

الأدلة من السنة :-

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : « مَنَ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ، وَمَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»[متفق عليه].

٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) حُنَيْنًا فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يُدْعَى بِالإِسْلاَمِ : « هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ» فَلَمَّا حَضَرْنَا الْقِتَالَ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالاً شَدِيدًا فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ الَّذِي قُلْتَ لَهُ آنِفًا«إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» فَإِنَّهُ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالاً شَدِيدًا وَقَدْ مَاتَ. فَقَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) : «إِلَى النَّارِ» فَكَادَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَرْتَابَ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ قِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) بِذَلِكَ ، فَقَالَ : «اللَّهُ أَكْبَرُ أَشْهَدُ أَنِّى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ». ثُمَّ أَمَرَ بِلاَلاً فَنَادَى فِي النَّاسِ «إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ» [رواه مسلم].

٣- وعَنْ جُنْدَبٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: «كَانَ بِرَجُلٍ جِرَاحٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَقَالَ اللَّهُ بَدَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»[صحيح البخاري].

٤- وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) أَنَّهُ قَالَ: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرُ الْإِشْرَاكُ بِاللهِ – عَزَّ وَجَلَّ- ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ»[المعجم الكبير للطبراني].

٥- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : خَرَجَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) عَلَى رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يَضْحَكُونَ وَيَتَحَدَّثُونَ فَقَالَ : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَأَبْكَى الْقَوْمَ ، وَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ : يَا مُحَمَّدُ ، لِمَ تُقَنِّطُ عِبَادِي ؟ ، فَرَجَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : أَبْشِرُوا ، وَسَدِّدُوا ، وَقَارِبُوا»[الأدب المفرد للبخاري].

٦- وعَنْ صُهَيْبٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): « عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[صحيح مسلم].

ثالثاً: الموضـــــوع:-

إن الإسلام قد أعلى من قيمة الحياة وشأنها ، فجعل الاعتداء عليها من أعظم الذنوب التي تُرتكب ، وكذلك من أفظع الآثام التي تُقترف ، وفي ذلك يقول الله تعالى: {... أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ }[المائدة: ٣٢].

ولما كانت الحياة هبة الله تعالى وينبغي أن تُترك الروح لخالقها يسلبها متى يريد ، ويبتليها بالآلام إذا شاء ويُسعدها متى شاء ، حذر الإسلام من الإقدام على التخلص من الحياة مهما كانت بواعثه ، ومهما تقلبت بالإنسان نوائب الزمان ، إذ إن المرء لا يملك في نفسه شيئا حتى يعبث بها ، فالله – تعالى– هو المالك لكل شيء ، قال تعالى: { قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ}[المؤمنون: ٨٨ ، ٨٩].

ومن هنا أكدت الشرائع كلها وخاصة ديننا الإسلامي على تحريم قتل النفس وإزهاق الروح بصورة عامة والانتحار بصورة خاصة ، مهما تعددت وسائله: من قتل الإنسان نفسَهُ ، أو إتلاف عضو من أعضائه ، أو إفساده أو إضعافه بأي شكل من الأشكال ، بمأكول أو مشروب أو بأي لون من ألوان العقاب التي تؤدى إلى إزهاق النفس ، لما في هذا من اعتداء على حق من حقوق واهب الحياة وهو الله سبحانه وتعالى ولهذا جاء التحذير بعدم قتل النفس العامة أو الخاصة مصداقاً لقول ربنا : { ... وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}[النساء ٢٩-٣٠].

ولم يقتصر التحذير والنهي عن قتل النفس أو إزهاق الروح بل نجد أنّ الله تعالى حرم على الإنسان كل ما من شأنه أن يهلك الإنسان أو يلحق به ضرراً في نفسه أو في عضوٍ من أعضائه سواء كان بطريقٍ مباشرٍ أو غير مباشر ، قال تعالى: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[البقرة : ١٩٥] ، ولا غرو فقد أجمعت الأمة على حرمة قتل النفس في صورة الانتحار أو غيره من الصور ، يقول ابن حزم رحمه الله: "وَاتَّفَقُوا أَنه لَا يحل لأحد أَن يقتل نَفسه وَلَا أَن يقطع عضوا من أَعْضَائِهِ وَلَا أَن يؤلم نَفسه فِي غير التَّدَاوِي بِقطع الْعُضْو المريض خَاصَّة "[مراتب الإجماع].

إن شيوع مثل هذه الظاهرة الغريبة عن مجتمعاتنا وديننا في أوساطٍ عديدةٍ من المجتمع متعللٌ من يقوم بها ، أو حتى من يُشيعُ لها بأسبابٍ متنوعةٍ نراها إلى الوهم أكبر ، فهذا الذي يغامر بحياته فيقتل نفسه منتحرًا ؛ أتراه يقدم على ذلك بسبب يأسه من الحياة ؟! فكيف ييأس من يعلم أن له ربًا يفرج الكربَ و يُذهب الهَم ! إننا نجد أن اليأس دليلٌ على ذبول شجرةِ الإيمان ويَبَسِهَا في نفوس اليائسين ، ولقد عُدّ اليأس من أكبر الكبائر ، فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) أَنَّهُ قَالَ: « أَكْبَرُ الْكَبَائِرُ الْإِشْرَاكُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ » (المعجم الكبير للطبراني) ، وهذا نبي الله يعقوب عليه السلام يقرن بين اليأس والكفر والعياذ بالله ، قال تعالى مخبرًا عنه: {يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف: ٨٧].

وهناك صنفٌ آخرَ من الناس آلَ حالهم إلى الانتحار بسبب إفراطهم في مشتهيات الحياة ووصولهم إلى حالة من الإشباع تولد عنها الملل القاتل ، وفي ذلك دليلٌ على خلو بالِ صاحبه من أي تعلقٍ بالآخرة ، إن العبد المؤمن يعيشُ في الدنيا وعينهُ على الآخرةِ ، مريداً بذلك الجمع بين الحُسنيين ، معتمداً في ذلك على إيمانه بربه وعمله الصالح ، قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[النحل: ٩٧] ومع ذلك فإنه إن فاته شيء من الدنيا فإن الأمل الأكبر لا يزال باقيًا بإرادته الآخرة وما عند الله سبحانه ، يقول الله تعالى: { وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا}[الإسراء: ١٨، ١٩] ، وما أعظم سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حين وَجَّهَ الأمةَ لا سيما شبابها إلى عدمِ الانهماكِ في وسائل الرفاهية ، فعَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: أَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ): " اخْشَوْشِنُوا ، وَاخْشَوْشِبُوا وَاخْلَوْلِقُوا وَتَمَعْدَدُوا ، كَأَنَّكُمْ مُعَدٌّ ، وَإِيَّاكم وَالتَّنَعُّمَ وَزِيَّ الْعَجَمِ " [مشكل الآثار للطحاوي ؛ والتَّمَعْدُدُ هُوَ : الْعَيْشُ الْخَشِنُ] .

يظن المنتحر أنه ترك الشقاء والتعب ، ويظن أنه سيجد الراحة بعد قتل نفسه ، ولم يدرِ ماذا وراء القبر ، والمرحلةَ التي هو مقبلٌ عليها ، إنها الشقاء الطويل والعذابُ الأليم الذي يهون أمامه كَبَدُ الدنيا ونصبها ، فيا ليت الذي يُقدم على الانتحار من أجل الخلاص من عذاب الدنيا وآلامها ومحنها يدرك أنه بذلك لا يهرب بالانتحار من هذا العذاب وتلك المحن ، بل يكتب على نفسه بيده العذاب الأبدي بما جناه ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم):

« مَنَ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ شَرِبَ سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا »[متفق عليه] ، إنه المصير الأليم لمن يقتل نفسه أو يزهق روحه التي أودعها الله – تعالى– فيه أمانة ، ولا نَجِدُ فرقاً بين في حكم هذا المنتحر وجزاءه المنتظر حتى وإن كان مجاهدًا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم)! فكما ورد عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) حُنَيْنًا فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يُدْعَى بِالإِسْلاَمِ « هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ » فَلَمَّا حَضَرْنَا الْقِتَالَ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالاً شَدِيدًا فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ الَّذِي قُلْتَ لَهُ آنِفًا « إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ » فَإِنَّهُ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالاً شَدِيدًا وَقَدْ مَاتَ ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) « إِلَى النَّارِ » فَكَادَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَرْتَابَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ قِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) بِذَلِكَ فَقَالَ « اللَّهُ أَكْبَرُ أَشْهَدُ أَنِّى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » ؛ ثُمَّ أَمَرَ بِلاَلاً فَنَادَى فِي النَّاسِ « إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ »[رواه مسلم] ؛ هكذا حبط ثواب الجهاد لهذا العبد بسبب عدم صبره على الألم والشدائد ، وهذه صورة واضحة تبين أن في عدم الصبر والرضا بقضاء الله وقدره دليلًا على ضعف الإيمان والذي بسببه يقع المسلم في مخالفة قد تكون ختام سوءٍ له في الدنيا وعذاباً في الآخرة ، والله – عز وجل– حرّم الجنة على من يتعجل القدر بإزهاق روحه ، فعَنْ جُنْدَبٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: « كَانَ بِرَجُلٍ جِرَاحٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَقَالَ اللَّهُ بَدَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » [صحيح البخاري] ، هكذا يجلب الانتحار غضب الله – تعالى– ، ويكون سببا في حرمان فاعله من الجنة ، ولم يكن أبدًا دواءً وعلاجًا للأزمات والمعضلات والمشكلات التي يتعرض لها الإنسان .

في حين نجدُ فريقًا آخر دفعهم تعصبهم وتطرفهم في دين الله بغير علمٍ إلى الإقدامِ على تلك العمليات الانتحارية فيهلكُ نفسه ويهلكُ غيره متوهماً أنه بذلك يجاهدُ في سبيل الله ! كيف يخاطر أحدهم بمستقبله الأبدي عند الله – تعالى– لمجرد وهمٍ أوقعه فيه المتطرفون ، أو شبهة أُلقيت في نفسه ، والله – تعالي– من أفعالهم بريء .! ماذا يصنع حين يكتشف في النهاية أن هذه النفس التي قتلها أو تسبب في قتلها كانت معصومة ، وأنّ الله – تعالى– يحاسبه على بنيانه الذي هدمه.!

قال تعالى متحدثًا عن عباد الرحمن:{... وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ولا يزنون ومن يفعل ذلك وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً}[سورة الفرقان ٦٨-٦٩].

إذا كان الانتحار في كثير من الأحيان ناتجًا عن الإحساس بالعجز وفقدان الأملِ فإن الحل يكمنُ في تقوية الوازع الديني مما يجعل النفس تخشى الله وتتقيه دائماً وأبداً ، وذلك يعين الإنسان على تحمل مصاعب الحياة انتظارًا للجزاءِ مِنَ الله تعالى .

إن عصمة الدم مركوزة في عقيدة المسلم ، تلك العقيدة التي تفرض عليه التزامات وواجبات في مختلف شئون حياته ، فإذا ما استقرت العقيدة في نفس الإنسان وخلصت من كل دواعي الهوى، وتجردت من الأغراض المنحرفة والمذهبية ، كان ذلك أدْعَى إلى استقامةِ القصدِ ، والثقةِ في النفس والثباتِ عند الشدائد ، وأقربَ إلى التماسكِ والترابطِ بين أفراد المجتمع برباطٍ وثيق.

فما أحوجنا اليوم إلى أن نربي شبابنا على الإيمان بالله واليوم الآخر ، فإنّ من يؤمن باليوم الآخر وما فيه يتمتع دائمًا بالرجاء فيما عند الله – تعالى– مهما تعاقبت عليه محن الدنيا ، وهذا الإيمان الذي يتغلغل في أعماق المسلم يملك عليه عقلهُ وقلبهُ ، فإذا بهِ لا يرى أحدًا في هذا الكون إلا ربه ، ولا يتوجه إلا إليه ، وعندها يصبح آمنًا من كل خوفٍ محررًا من كل وهمٍ ومن كل قلقٍ ، وهو ما عبر عنه ربنا بقوله تعالى:{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}[الأنعام: ٨٢]، وهذا الأمن يستشعره المؤمن في صورة طمأنينة وسكينة وسلام دائم مع النفس ، لتجدد الرجاء في عون الله ورعايته دائمًا .

فالإيمان هو خط الدفاع الأول ضد الجرائم بصورة عامة ، وضد جريمة الانتحار بصورة خاصة، فالإيمان الصحيح يقتضي الخضوع التام لأوامر الله ونواهيه ، والمؤمن الحق لا اختيار له بعد اختيار الله عز وجل ؛ قال تعالي: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا}[الأحزاب: ٣٦] .

إن كل ما يصيب الإنسان من مصائب الدهر وغوائل الأيام فبقدر وقضاء من الله وحده ، لا يملك أحدٌ أن يرفعها عن آخرٍ أو يخفف من غوائلها غير الله سبحانه وتعالى ، فالله رحيم بعباده على كل حال ، يبتليهم بالشر اختباراً ، كما يبتليهم بالخير امتحانًا لإيمانهم وثباتهم ، يقول تعالى: {...وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}[الأنبياء: ٣٥] ، فالمؤمن الصادق أبعد ما يكون عن

الهمِ والحَزَنِ ، والقنوطِ عند المحن ، وها هو ربنا سبحانه ينادي:{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ}[الزمر: ٥٣ – ٥٥].

ولذا نجد أن لذة الإيمان بالقضاء والقدر سعادة لا يحظى بها إلا المُوحِدون ، وهذا الإيمان من ثمراته أن يُرزقَ المُسلمُ التوكلَ على الله تعالى ، فالله سبحانه عندما يسد على المرء طريقًا يفتح له طرقًا أخرى كثيرة ، والإنسان بجهله يتساءل: لِمَ سددت عليَّ هذا الطريق ؟ فيصل بجهله وضعف إيمانه للوقوع فيما لا يُرضِي الله فيقدمُ على الانتحارِ ؛ لكن المؤمن المتوكل على الله يُوقِنُ أنه سبحانه ما منعه إلا ليعطيَه ، وما ابتلاه إلا ليعافيَه ، وما امتحنه إلا ليصفيَه ، ولا أخرجه من الدنيا إلا ليجتبيه إلى الجنة ، فيرضى بقضاء الله – تعالى– كله ، فيكون على خير في عموم أحواله ، فعَنْ صُهَيْبٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): « عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » [صحيح مسلم].

إن الإسلام يحثُّ أتباعه على الرضا بما قدره الله – تعالى– إيمانًا بأن ما يختاره الله– تعالى – للإنسان أوفق وأصلح له مما يريده لنفسه ، وكذا يحذر أتباعه من اليأس والقنوط لئلا يؤدي ذلك بهم إلى ارتكاب مثل هذا الذنب ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَلَى رهطٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يَضْحَكُونَ وَيَتَحَدَّثُونَ ، فَقَالَ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا ولبكيتم كَثِيرًا" ثُمَّ انْصَرَفَ وَأَبْكَى الْقَوْمَ ، وَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: يَا مُحَمَّدُ! لِمَ تُقَنِّط عِبَادِي؟ فَرَجَعَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: " أَبْشِرُوا، وسددوا، وقاربوا " [الأدب المفرد للبخاري].

إن من أعظم وسائل العلاج وأكبر سبل النجاة : استحضار العبد لعظمة الله –تعالى– دوماً وفي كل حالٍ ، وخاصة إذا ما حدثته نفسه على الإقدام على مثل هذه الكبيرة ، فقد قال أحد السلف : " لا تنظر إلى صغر الذنب ، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت " ، وأيضاً تَذكُرِ سُوء عاقبة الانتحار في الدنيا والآخرة ، وكفى بالسؤال عن تضييع النفس بإهلاكها ، أمام الله تعالى يوم القيامة عبرةً بسوءِ عاقبتهِ في الآخرة .

إن الحرص على فعل الطاعات والمحافظة على الفرائض والعبادات ، والإكثار من ذكر الله -تعالى- وشكره ، من أنفع طرق العلاج وأيسر سبل النجاة ، فقد قال تعالى: { أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ }[الرعد: ٢٨] .

وعليه نؤكد أن ما نشاهده أو نسمع عنه من ظاهرة الانتحار في هذه الأيام هي ظاهرة خطيرة وغريبة عن مجتمعنا العربي والإسلامي ، والأمر الذي يدعونا إلى معالجة هذه الظاهرة ومواجهتها بالتربية الإيمانية الصحيحة ، والسعي لقضاء حوائج المحتاجين من البشر ، والتخفيف عن آلام من ابتلى ببلاء ، وأن يتحلى جميع خلق الله بالصبر والرضا بقضاء الله وقدره .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين